المقسط

من أسماء الله الحُسنى المقسط .

في اللغة . . أقسط فلانٌ إذا عدل ، وقسط فلانٌ إذا جار . . أقسط : عدل ، وقسط : ظلم وجار . . المقسط : العادل ، القاسط : الظالم ، قال تعالى :

﴿ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ [الجن : ١٥] .

قال بعض علماء اللغة : « **المقسط هو العادل في حكمه ، قال تعالى** : ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ : **أي بالعدل ، والقِسْطُ أيضاً هو النقيض** » ، القِسْطُ . . أقساط ، أجزاء ، أنصبة .

ذكر بعض علماء اللغة أنَّ القسْطَ : « **هو أن يأخذ الإنسان قِسطَ غيره أي يظلم** » . . فالقسْط مصدر . . أي يأخذ نصيب غيره ، أن يأخذ ما ليس له فهو ظالم . والإقساطُ أن يُعطى قسط غيره فهو عادل . . أن تعطي حقَّ الناس إلى الناس فأنت عادل ، أن تأخذ ما ليس لك بحق فأنت ظالم . . أن تأخذ قِسْطَ غيرك هذا ظلم ، أن تعطي الآخرين قِسْطَهم هذا عدل . . هذا الفرق بين قَسَطَ وأقْسَطَ .

ودخلت امرأة على هارون الرشيد وعنده جماعة من وجوه أصحابه فقالت يا أمير المؤمنين ! أقر الله عينك وفرحك بما آتاك وأتم سعدك

لقد حكمت فقسطت ، فقال لها : من تكونين أيتها المرأة ؟ فقالت من آل برمك ممن قتلت رجالهم وأخذت أموالهم وسلبت نوالهم! فقال : أما الرجال فقد مضى فيهم أمر الله ، ونفذ فيهم قدره ، وأما المال فمردود إليك ، ثم التفت إلى الحاضرين من أصحابه فقال : أتدرون ما قالت هذه المرأة ؟ فقالوا : ما نراها قالت إلا خيراً ، قال : ما أظنكم فهمتم ذلك ، أما قولها : أقر الله عينك ، أي : أسكنها عن الحركة وإذا سكنت العين عن الحركة عميت ، وأما قولها : وفرحك بما آتاك فأخذته من قوله تعالى : ﴿حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة﴾ وأما قولها : وأتم الله سعدك فأخذته من قول الشاعر

إذا تـمَّ أمـر بـدا نقصـه.. تـرقـب زوالاً إذا قيـل تـم

وأما قولها : لقد حكمت فقسطت فأخذته من قوله تعالى : ﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا﴾ فتعجبوا من ذلك .

فكلمة « **قاسط عادل** » لا تعني مدحاً ، بل تعني ذماً .

المُقسِطُ في حقِّ الله تعالى هو العادل في الأحكام ، الذي يتصرَّف في العوالم بكلِّ نظام .

يعقوب بن يوسف الكوفي « وكان قد روى الأشعار والأحاديث عن أبيه » قال : حججت ذات سنةٍ فإذا أنا برجلٍ عند البيت وهو يقول : اللهمَّ اغفر لي وما أراك تفعل . قال فقلت : يا هذا ما أعجب يأسك من عفو الله ، قال إنَّ لي ذنباً عظيماً ، قال فقلت أخبرني قال كنت مع يحيى بن محمد بالموصل فأمرنا يوم جمعة فاعترضنا المسجد ، فنرى أنا قتلنا ثلاثين ألفاً ثمَّ نادى مناديه : من علَّقَ سوطه على دارٍ فالدار وما فيها له ، فعلقت سوطي على دار ودخلتها فإذا فيها رجل وامرأةٌ

وابنان لهما ، فقدمت الرجل فقتلته ، ثمَّ قلت للمرأة : هاتي ما عندك وإلا ألحقت ابنيك به ، فجاءتني بسبعة دنانير ومتيع ، قال : فقلت : هاتي ما عندك ، فقالت : ما عندي غيرها ، فقدمت أحد ابنيها فقتلته ثم قلت : هاتي ما عندك ، وإلا ألحقت الآخر به ، فلما رأت الجدَّ مني قالت : أرفق فإنَّ عندي شيئاً كان أودعنيه أبوهما ، فجاءتني بدرع مذهبةٍ لم أر مثلها في حسنها فجعلت أقلبها فإذا عليها متكوب بالذهب :

إذا جـار الأميـر وحـاجبـاه وقاضي الأرض أسرف في القضاء
فـويـلٌ ثـمَّ ويـلٌ ثـمَّ ويـلٌ لقاضي الأرض من قاضي السماء

فسقط السيف من يدي وارتعدت ، وخرجت من وجهي إلى حيث ترى . . .

أحياناً يكون الظالم زوجاً يقول لنفسه : إن زوجتي ليس لها سند ، ومقطوعة من الأهل . . فيظلمها أشدَّ الظُلم ، ويضغط عليها أشدَّ الضغط ، فنقول له :

فـويـلٌ ثـم ويـلٌ ثـم ويـلٌ لقاضي الأرض من قاضي السماءِ

أحياناً تكون في وظيفة يمكن أن تؤذي الناس من خلالها ، تستخدم هذه الثقة التي مُنحت إيَّاها لحفظ مصالح الأمة في سبيل ابتزازِ أموال الأمة ، فيقال لك :

فـويـلٌ ثـم ويـلٌ ثـم ويـلٌ لقاضي الأرض من قاضي السماءِ

وما أكثر أنواع الظلم ، والظلم ظلماتٌ يوم القيامة والله سبحانه وتعالى من أسمائه المُقسط ، لذلك فالمؤمن يعُدُّ للمليون قبل أن يظلم

إنساناً ، لأنَّه يعلم أنَّ الله أقدرُ عليه منه على هذا الإنسان . . وقد ورد هذا في نصِّ حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام عندما رأى أحد أصحابه يضرب غلاماً له فقال : « **اعلم أبا مسعود! لله أقدر عليك منك عليه فالتفت فإذا هو رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله! هو حر لوجه الله ، فقال : أما لو لم تفعل للفحتك النار أو لمستك النار** » [رواه مسلم] .

وقال بعضهم :

إذا دعتك قدرتك إلى ظلم الناس تذكَّر قدرة الله عليك .

ذات مرَّة أراد الحجَّاج أن يحاكم إنساناً ليقتله فقال هذا الإنسان : أسألُك بالذي أنت بين يديه أذلُّ منّي بين يديك ، وهو على عقابك أقدر منك على عقابي ، فتفكر الحجاج ثم عفا عنه . فالإنسان كلما ازداد علماً ازداد خوفاً من الله ، إذا ظنَّ أنَّه قوي وأنَّه يفعل ما يريد فاستخدم هذه القوَّة في غير العدل فقد استوجب سخط الله عزَّ وجلَّ ، وإذا سخِط الله عليه بطش به ، كما ورد في الآية الكريمة قال تعالى :

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴾ [البروج : ١٢-١٣] .

من ذكريات الماضي المقدس أنه : يوم أرسل النبيُّ الكريم ﷺ عبد الله بن رواحة إلى اليهود ليأخذ منهم ما اتُفق على أن يعطوه للنبي ﷺ من ثمارٍ وزروع ، فأراد هؤلاء أن يرشوا عبد الله بن رواحة لعلَّه يترفَّق بهم في قِسمة الزروع بينهم وبين النبي ـ فقال عبد الله بن رواحة : يا أعداء الله تعطوني السحت والله لقد جئتكم من عند أحبِّ الناس إلي ـ من عند رسول الله ﷺ ـ ولأنتم أبغض إليَّ من القِردة والخنازير ، ولا يحملني حبي لرسول الله وبغضي لكم على ألا

أعدل ، أو أن أفعل معكم غير الحق . فقالوا : بهذا قامت السموات والأرض ، وبهذا تغلبوننا ، بهذا العدل تغلبوننا . . فأنا أشعر أنَّ قيمة العدل هي أخطر قيمة في المجتمع .

يروي التاريخ المعاصر أنَّ بريطانيا عقب الحرب العالميَّة الثانية دمرت مواردها كلياً ، وقف أحد زعمائها (تشرشل) في مجلس العموم يسأل وزراءه وزيراً وزيراً : كيف الصناعة عندك يا فلان ؟ يقول له : المعامل مدمَّرة ، كيف الزراعة عندك يا فلان ؟ يقول له : لا ثمار ولا غلال ، كم في الخزينة عندك يا فلان ؟ يقول له : لا شيء ، خواء . فكل ما عندهم دمر . . فالتفت إلى وزير العدل وقال : كيف العدل عندك يا فلان ؟ قال : بخير . قال : كلُّنا إذاً بخير .

يبدأ هذا العدل من داخل أسرتك لا تظلم لا تميِّز ولداً على ولد ، لا تميِّز زوجةً على زوجة إن كانت لك زوجتان ، لا تميِّز أخاً على أخ ، السموات والأرض لا تقومان إلا بالعدل ، والعدل أساس الملك ، أن تملك زمام أولادك فأساس هذا الملك العدل ، أن تملك قياد الموظفين العاملين عندك فأساس هذا الملك العدل ، قيمة العدل هي أفضل قيمة ، يمكن أن تأكل أخشن الطعام ، وأن تلبس أخشن الثياب ، وأن تشعر أنَّك قد أخذت حقَّك ، أما حينما يشعر الإنسان بالظلم عندئذٍ تنقلب حياته إلى جحيم من هنا قال الله عزّ وجلَّ في الحديث القدسي :

عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ : « **إِنِّي حَرَّمْتُ عَلَى نَفْسِي الظُّلْمَ وَعَلَى عِبَادِي أَلا فَلا تَظَالَمُوا ، كُلُّ بَنِي آدَمَ يُخْطِىءُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرُ لَهُ وَلا أُبَالِي ، وَقَالَ يَا بَنِي**

آدَمَ كُلُّكُمْ كَانَ ضَالاً إلا مَنْ هَدَيْتُ ، وَكُلُّكُمْ كَانَ عَارِياً إلا مَنْ كَسَوْتُ ، وَكُلُّكُمْ كَانَ جَائِعاً إلا مَنْ أَطْعَمْتُ ، وَكُلُّكُمْ كَانَ ظَمْآنَ إلا مَنْ سَقَيْتُ ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ ، وَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ ، وَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ ، وَاسْتَسْقُونِي أَسْقِكُمْ. . . » [مسند الإمام أحمد] .

الظلم ظلماتٌ يوم القيامة ، الظلم مرتعه وخيم ، والله عزَّ وجلَّ مقسط ، قال أحد الحكماء : « **المقسط هو الذي ينتصف للمظلوم من الظالم** » .

إنسان يركب مركبة ويسير بها في طريق المطار ، وكلبٌ صغير في أيام الشتاء القارس وجد أنَّ الطريق المزفَّت أدفأ له من التراب لسواد لونه ، فاللون الأسود يمتصّ الحرارة فقبع على طرف الطريق ، وهذا الذي يقود المركبة عنَّ له أن يظهر براعته في القيادة أمام من إلى جواره ، فاستطاع بدقَّةٍ بالغة أن يقطع يديّ الكلب دون أن يقتله ، وأطلق ضحكةً هيستيريَّة ، يذكر لي الذي كان إلى جانبه أنه في أول أيام الأسبوع التالي وفي المكان نفسه تعطَّلت مركبته ، إذ أصيبت إحدى العجلات فنزل لإصلاحها ، فرفع المركبة بالأداة الرافعة ، وأزال البراغي من العجلة وبينما هو يسحب العجلة اختلَّ توازن المركبة فوقعت فوق العجلة والعجلة فوق رُسغيه فَهُرِستا ، فإلى أن وصل إلى المشفى كان قد وصل الموات إلى أطراف أصابعه ، فأمر الطبيب بقطع كفَّيه من رُسُغيه ، كما فعل يوم السبت الماضي بالكلب ، وقال لي هذا الذي كان بجوار قائد المركبة : رأيته بعيني بعد أسبوعٍ بلا يدين .

أليس هذا جزاءً وفاقاً ، فالله عزَّ وجلَّ مُقْسِط . . وكلَّما عرفتَ عدله

تأدَّبتَ معه ، وكلَّما أكبرتَ عدالته ازددت معه أدباً .

قال بعض الأئمة : « **المقسط هو الذي ينتصف للمظلوم من الظالم** » ، قد يكون المظلوم هرَّة . . فقد قال ﷺ :

حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **دَخَلَتِ امْرَأَةُ النَّارَ مِنْ جَرَّاءِ هِرَّةٍ لَهَا أَوْ هِرٍّ رَبَطَتْهَا فَلا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلا هِيَ أَرْسَلَتْهَا تُرَمْرِمُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ حَتَّى مَاتَتْ هَزْلاً** » [صحيح مسلم] .

أيدخل إنسان النار في هرَّة ؟ . . نعم فدققوا النظر متأملين . . قبل أن تقتلوا حيواناً فقد قال تعالى :

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان : ٦٨] .

سُمِح لك أن تقتل الفأرة ، وأنْ تقتل العقرب ، أن تقتل الحيَّة ، أما أي حيوان تدوس عليه وأنت في راحة تامة ؟ لا . . فهناك حيوانات لا يجوز أن تقتلها لأنَّها ما فعلت شيئاً .

وكلُّكم يستمع إلى آلاف الوقائع والحوادث عن إنسان تعدَّى على حيوان . . فقد بصره ، أو فقد حركته ، بشلل أصابه ، إنسان غضب من هرَّة فألقاها من الطابق السابع ، بعد حينٍ اختلَّ توازنه في المشي ، وأمضى حياته كلَّها على عُكَّازين . . فالظلم ظلماتٌ يوم القيامة .

أحد العلماء يقول : « **المقسط هو الذي ينتصف للمظلوم من الظالم ، وكماله في أن يضيف إلى إرضاءِ المظلوم إرضاءَ الظالم** » .

أكمل شيء بالمُقسط . . أنَّ الله عزَّ وجلَّ ينتصر للمظلوم من الظالم ، وبعد ذلك يرضي الظالم ، بعدما قام بتأديبه ورجع إلى الحق

يكرمه ، والدليل الآية الكريمة : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾ [القصص : ٤-٦] .

فإذا طغى عبدٌ على عبد ، انتصر للمظلوم من الظالم ، فإذا رجع الظالم عن ظلمه وتاب إلى الله أكرمه الله ، فأحد الأئمة يقول : « **المقسط هو الذي ينتصف للمظلوم من الظالم ، وكماله في أن يضيف إلى إرضاءِ المظلوم إرضاءَ الظالم** » .

أدقّ نقطة أنَّ الله جلَّ جلاله لا يُبغض الكافر ، ولكن يُبغض عمله ، فإذا قال الله عزَّ وجلَّ ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ ، فإن العلماء أجمعوا على أنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يُحبُّ عملهم ، فإذا تابوا وأنابوا أحبَّهم ، والمؤمن الصادق المخلص . لو أنَّ له خصماً عنيداً كافراً فاجراً منحرفاً إلى آخر هذه الأوصاف ، إذا أناب إلى الله وتاب إليه واصطلح معه فبأقل من ثانية ينقلب حاله فيكون أقرب الناس إليه ، والدليل على ذلك :

عمير بن وهب كان شيطاناً من شياطين قريش وكان يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه ويلقون منه عناء أذاهم بمكة ، وكان ابن وهب بن عمير في أسارى أصحاب بدر ، قال : فذكروا أصحاب القليب بمصابهم ، فقال : والله ! إن في العيش خير بعدهم ، فقال عمير بن وهب : صدقت ، والله! لولا دين علي ليس عندي قضاؤه ، وعيالي أخشى عليهم الضيعة بعدي ، لركبت إلى محمد حتى أقتله فان

لي فيهم علة ، ابني عندهم أسير في أيديهم ، قال : فاغتنمها صفوان فقال : علي دينك ، أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالي أسويهم ما بقوا ، لا نسعهم بعجز عنهم ، قال عمير : أكتم عني شأني وشأنك ، قال : أفعل ، ثم أمر عمير بسيفه فشحذ وسم ، ثم انطلق إلى المدينة فبينما عمر رضي الله عنه بالمدينة في نفر من المسلمين يتذاكرون يوم بدر وما أكرمهم الله به وما أراهم من عدوهم إذا نظر إلى عمير بن وهب ما أناخ بباب المسجد متوشح السيف فقال هذا الكلب والله عمير بن وهب قد جاء إلا لشر هذا الذي حرش بيننا وحرزنا للقوم يوم بدر ، ثم دخل عمر على رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله هذا عمير بن وهب قد جاء متوشحاً بالسيف قال فأدخله فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلببه بها ، وقال عمر لرجال من الانصار ممن كان معه : ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده واحذروا هذا الكلب عليه فإنه غير مأمون ، ثم دخل على رسول الله ﷺ به عمر آخذ بحمالة سيفه فقال : أرسله يا عمر أدن يا عمير فدنا ، فقال : أنعموا صباحاً ـ وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم ـ فقال رسول الله ﷺ : قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير ، السلام تحية أهل الجنة ، فقال : أما والله يا محمد إن كنت لحديث عهد بها قال : فما جاء بك ؟ قال جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فاحسبه ، قال : فما بال السيف في عنقك ؟ قال : قبحها الله من سيوف فهل أغنت عنا شيئا ؟ قال : اصدقني ما الذي جئت له ؟ قال : إلا لهذا ، قال بلى قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر فتذكراتما أصحاب القليب من قريش ، فقلت لولا دين علي وعيالي لخرجت حتى أقتل محمداً ، فتحمل صفوان لك بدينك وعيالك على

أن تقتلني ، والله حائل بينك وبين ذلك ، قال عمير : أشهد أنك رسول الله ، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي ، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان فو الله إني أعلم ما أنبأك به إلا الله فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا المساق ثم شهد شهادة الحق فقال رسول الله ﷺ : فقهوا أخاكم في دينه وأقرؤه القرآن وأطلقوا له أسيره ، ثم قال : يا رسول الله! إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله شديد الأذى لمن كان على دين الله ، وإني أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله وإلى الاسلام ، لعل الله أن يهديهم ولا أوذيهم كما كنت أؤذي أصحابك في دينهم ، فأذن له رسول الله ﷺ فلحق بمكة ، وكان صفوان حين خرج عمير بن وهب قال لقريش : أبشروا بوقعة تنسيكم وقعة بدر ، وكان صفوان يسأل عنه الركبان حتى قدم راكب فأخبره بإسلامه فحلف أن لا يكلمه أبداً ، ولا ينفعه بنفع أبداً ، فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الاسلام ويؤذي من خالفه أذى شديداً فأسلم على يديه ناس كثير . [رواه الطبراني مرسلاً وإسناده جيد] .

واستمعوا إلى ما قاله عمر ـ كما في الرواية عن عروة بن الزبير مرسلاً ـ قال : لخنزيرٌ كان أحبُّ إليَّ منه حين اطلع ، وهو اليوم أحبُّ إليَّ من بعض بني .

في ثانية. . . المؤمن ليس له عدو ، فإن كره الكافر يكره عمله ، إن كره الظالم يكره ظلمه ، إن كره الفاسق يكره فسقه ، إن كره المعتدي يكره عُدوانه ، أما إذا عاد المعتدي إلى جادَّة الصواب ، وترك الفاسق فسقه ، وترك الكافر كفره. . صار أقرب الناس

للمؤمن ، وقد قيل : « **تخلَّقوا بكمالات الله** » ، إنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يُبغض الكافر لذاته ، بل يُبغِضُ عمله .

قال : لا يقدر على الانتصاف من الظالم للمظلوم ثم إرضاء المظلوم والظالم إلا الله ، هذا من اختصاص الله . . إليكم هذه القصَّة :

روي عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ : بينا رسول الله ﷺ جالس إذا رأيناه ضحك بدت ثناياه فقال له عمر : ما أضحكك يا رسول الله ؟ بأبي أنت وأمي! قال : رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة فقال أحدهما : يا رب! خذ لي مظلمتي من أخي ، فقال الله تبارك وتعالى للطالب : فكيف تصنع بأخيك ولم يبق من حسناته شيء ؟ قال : يا رب فليحمل من أوزاري قال : وفاضت عينا رسول الله بالبكاء ثم قال : إن ذاك اليوم عظيم يحتاج الناس أن يحمل عنهم من أوزارهم فقال الله تعالى للطالب : ارفع بصرك فانظر في الجنان فرفع رأسه فقال : يا رب! أرى مدائن من ذهب وقصوراً من ذهب مكللة باللؤلؤ لأي نبي هذا أو لأي صديق هذا أو لأي شهيد هذا ؟ قال : هذا لمن أعطى الثمن قال : يا رب! ومن يملك ذلك ؟ قال : أنت تملكه ، قال : بماذا ؟ قال : بعفوك عن أخيك قال : يا رب! فإني قد عفوت عنه قال الله عز وجل : فخذ بيد أخيك فأدخله الجنة فقال رسول الله عند ذلك : اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله تعالى يصلح بين المسلمين .

فالله عزَّ وجلَّ مختص بهذا وحده ، وهو الذي يستطيع أن ينتصر للمظلوم من الظالم ، فإذا رجع الظالم عن ظلمه أرضى الظالم أيضاً وشملته رحمته . . هذه ليست لغير الله . . لأنَّ بعض العلماء يقول :

« إنَّ أكمل درجات الإقساط ؛ العدل أن تعامل كِلا الطرفين معاملةً يرضيان عنها » .

حقيقة تملأ جوانحي.. المؤمن لا يحقد !! لأنَّه يرى الأمراض التي أمامه من بني البشر هي أمراض وليست سجايا ، أمراض الإعراض ، أعراض الإعراض ، فكما أنَّ الطبيب لا يحقد على مريضٍ مصاب بمرضٍ معدٍ ، كذلك ـ ولله المثل الأعلى ـ ، فالله جلَّ جلاله يعلم أنَّ هذه الأخطاء والرُّعونات والانحرافات هي أعراضٌ لمرضٌ واحد هي الإعراض عن الله عزَّ وجلَّ ، وأكبر دليل أنَّ الإنسان عندما يقبل تراه لطيفاً ومنصفاً ، وقَّافاً عند حدود الله ، فسبحان من يغير ولا يتغير .

وسرعان ما نعود إلى المُقسِط فقد ورد المعنى في بعض آيات القرآن الكريم ففي سورة المائدة قال تعالى :

﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [المائدة : ٤٢] .

﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ .

وعن النعمان بن بشير أن أباه أتى به إلى رسول الله ﷺ فقال : إني نحلت ابني هذا غلاما فقال : « أكلَّ ولدك نحلت مثله ؟ » قال : لا قال : « فأرجعه » . وفي رواية : أنه قال : « أيسرك أن يكونوا إليك في البر سواء ؟ » قال : بلى قال : « فلا إذن » . وفي رواية : أنه قال : أعطاني أبي عطية فقالت عمرة بنت رواحة : لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ فأتى رسول الله فقال : إني أعطيت ابني من

عمرة بن رواحة فأمرتني أن أشهدك يارسول الله قال : أعطيت سائر ولدك مثل هذا ؟ » قال : لا قال : « فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم » . قال : فرجع فرد عطيته . وفي رواية : أنه قال : « لا أشهد على جور » . [متفق عليه] .

روي أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ وَالْمَرْأَةُ بِطَاعَةِ اللهِ سِتِّينَ سَنَةً ، ثُمَّ يَحْضُرُهُمَا الْمَوْتُ فَيُضَارَّانِ فِي الْوَصِيَّةِ فَتَجِبُ لَهُمَا النَّارُ » [سنن الترمذي] .

وعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « قَارِبُوا بَيْنَ أَبْنَائِكُمْ يَعْنِي سَوُّوا بَيْنَهُمْ » [مسند الإمام أحمد] .

من أعجب ماسمعت أن أُسرةً توفي منها الأب وترك أولاداً وبنتاً وحيدة متزوِّجة ، وهذه البنت الوحيدة نصيبها من الميراث ستَّة عشر مليوناً لم يُعطها إخوتها شيئاً ، لأنَّها متزوِّجة ، فطلَّقها زوجها فوراً ، فأهلُها ظلموها ، وزوجها ظلمها ، أعطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه . . لا علاقة لك بغنيٍّ أو فقير ، فموضوع الحق ليس له علاقة بالغنى أو الفقر .

﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ لو ظلمتْ ابنتك زوجها وجارت عليه ، فكن عادلاً وأنصف المظلوم ، وإذا بغى ابنك على صديقه فرد الباغي : كن عادلاً ، وخذ بيد المظلوم .

لكن أكثر الناس مع ابنه على حقٍّ أو على باطل ، ومع ابنته على حقٍّ أو على باطل ، ما الذي يميِّز المؤمن من الكافر ؟ العدل . . .

ساعة عدل . . كلمة عدل خير من الدنيا وما فيها النبيُّ عليه الصلاة والسلام استعرض أسرى بدر فإذا صهره بين الأسرى . . . أُلقي عليه

القبض وأسر لأنَّه كان في عِداد المحاربين يريد أن يقتل المسلمين ، فلما استعرض الأسرى روي أنه عليه الصلاة والسلام قال : « **والله ما ذممناه صهراً** » ، فهو صهر ممتاز . . لكنه الآن مشرك وجاء ليقاتل وقد وقع أسيراً ، هذه الكلمة التي أنصفه بها فعلت فيه فِعل السحر وانتهت به إلى الإيمان .

من السهل جداً أن تُحبَّ إنساناً محبَّةً عمياء . . ومن السهل جداً أن تبغضه بغضاً أعمى ، ولكنَّ الإنصاف يفرض عليك أن تحبَّه وأن تبغِضه بالعدل ، أن تحبَّه منصفاً ، وأن تبغضه منصفاً ، معظم الناس إذا أحبّوا إنساناً ستروا كلَّ عيوبه ، وإذا أبغضوا إنساناً ستروا كلَّ فضائله ، فهذا ظلم ، قال عمر : لا يكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً فقلت ـ أسلم ـ كيف ذاك ؟ قال : إذا أحببت كلفت كلَفَ الصبيِّ وإذا أبغضت أحببت لصاحبك التلف .

تعامل أحد أولادك معاملة جيدة وتسيء لأخيه هذا ظلم ، وتعامل إحدى بناتك بغير ما تعامل أُختها هذا ظلم ، تعامل موظَّفاً في المكتب بغير ما تعامل الموظَّف الآخر فهذا ظلم . . ثم وسِّع الأمر كما شئت .

وفي سورة الحجرات قال تعالى :

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۚ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات : ٩] .

كثير من الناس يرى أن معاملتك للكافر الفاجر الفاسق الملحد لا غبار عليها مهما أسأت إليه ، فلا عليك مثلاً أن تأخذ ماله وأن تضطهده وأن تظلمه ، أن تغُشَّه ، هذا هو الجهل بعينه ، وهذا هو

الخطأُ بعينه ، وهذا هو الظلم بعينه ، قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة : ٨] .

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ﴾ . . يخاطب الله المؤمنين ويحضهم على العدل : من هم أعداء المؤمنين التقليديين ؟ الكفَّار ، الفجَّار ، العصاة ، الفاسقون ، المارقون ، هؤلاء الكفَّار ، الفجَّار ، العصاة ، المارقون قال تعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ ﴾ . . مع هؤلاء ﴿ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ . . إن عدلتم معهم قرَّبتموهم إلى الله ، وإن عدلتم معهم قرَّبتموهم إليكم ، أما إن ظلمتموهم فقد زدّتموهم بعداً ، زدّتموهم كفراً .

يسألني أخ وهو في حيرة من أمره : لي ولدان . . أحدهما فاسق والآخر طائع ، أريد أن أُعطي الطائع نصيباً أوفر من أخيه . أقول له وبلا تردد : لا تفعل . . إنَّك إن ظلمت الثاني زِدّته عقوقاً ، اعدل بينهما والله ـ سبحانه وتعالى ـ يبارك للبار بما أعطيته .

أنا وقّاف عند كلمة « يبارك » لأنني أطرب لسماعها ويهزني معناها . . يقولون : رجل مبارك ، رزق مبارك ، زوجة مباركة ، بيت مبارك ، بارك الله لك ، تباركنا فيك ، هذه الكلمات . . تستخدم على أوسع نطاق في العالم الإسلامي ، ما معنى بركة ؟ الخير الكثير ، ما معنى تبارك الذي بيده الملك ؟ أي ما أعظم خيره وأكثره!

الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يبارك لك أحياناً بمالك أي ينتج لك من الشيء القليل الخير الكثير ، مال يكون قليلاً فتنتفع به ببركة الله ، تتزوَّج به ،

تأكل منه تشرب ، تلبس ، وهو مال قليل ، وأحياناً المال الكثير يمحق الله بركته فإذا هو نقمةٌ على صاحبه .

أما المستقيم فالله عزَّ وجلَّ يبارك له في ماله ، وأحياناً يبارك لك بوقتك ، في الوقت القليل تفعل الشيء الكثير .

الإمام النووي ترك كُتُباً من تأليفه وعُدَّت صفحاتها وقسِّمت على سنيِّ حياته فكان نصيب كل يوم تأليف تسعين صفحة[١] ، وقد ورد أنَّه من أخَّر الصلاة عن وقتها ، أذهب الله البركة من عمره ، وإنَّ أحبَّ الأعمال إلى الله الصلاة على وقتها .

فهناك وقت مبارك.. أنت إذا صلَّيت ، إذا اقتطعت من وقتك الثمين وقتاً لخدمة الخلق ، وقتاً لنشر الحق ، وقتاً لنصرة الضعيف ، وقتاً لمواساة المسكين ، هذا الوقت الذي اقتطعته من وقتك كأنَّه زكاة وقتك.. ومن أدَّى زكاة ماله حفظ الله له بقيَّة ماله.. حصِّنوا أموالكم بالزكاة ، ومن أدى زكاة وقته حفِظ الله له بقيَّة وقته ، تجد فيما تبقى له من وقت يفعل خلاله الشيء الكثير على الرغم من أنه قصير .

أحياناً تتعسَّر أمور الإنسان ، يطلب أحد أصدقائه فلا يجده ، أو بعد أن يقوم بإصلاح محرِّك لآلة فينسى أن يضع قطعة صغيرة في محلها ، فيفك أجزاءه مرَّةً أخرى وقد أخذ من وقته الساعات الطوال ، أحياناً الله عزَّ وجلَّ يذهب لك زبدة وقتك وخلاصته وخيره في أتفه

---

(١) ويكفي أن له : المجموع وشرح مسلم والروضة والمنهاج والأذكار وتحرير التنبيه والإيضاح والفتاوى والتقريب ومناقب الشافعي وتهذيب الأسماء واللغات ، وأنه ألف في الفقه والحديث وشرح الحديث والمصطلح واللغة والتراجم والتوحيد وغير ذلك وكان يكتب حتى تكل يده فيعجز.. هذا ولم يطلب العلم إلا في سن الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة..!! .

الموضوعات ، فقد ينقصك قطعة تبديل لآلة معطَّلة والعمال ينتظرون إحضارها ، فتقوم باستيرادها وقد تأتي ناقصة من الخارج ، وذلك بأنك ضننت بوقتك على أن تصلِّي أو على أن تحضر مجلس علم ، أو أن تطلب العلم ، أو أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر أذهب الله البركة من وقتك . . وضيعه سُدى بلا طائل .

دائماً نعجب من المؤمن . . فالله يوفِّقه بأن يبارك له بوقته ؟ يفعل أشياء كثيرة في وقت قصير هذه هي البركة ، ومن هنا كان دعاء القنوت : « **اللهمَّ! اهدني فيمن هديت ، وعافني فيمن عافيت ، وتولَّني فيمن تولَّيت ، وبارك لي فيما أعطيت** » [الأربعة والدارمي] .

يعطيك دخلاً يكفيك ويغطي جميع نفقاتك ، يكفي أن يكون الإنسان معافى في صحَّته ، فقد خلّص نفسه من الذهاب إلى الأطباء والمشافي والتصوير الإشعاعي والطبقي المحوري والمرنان ، والتحاليل ، والذهاب للخارج وتبديل دسام قلبه ، أو الكلية ، كل ذلك بمئات الألوف ، بالملايين .

إذا استقام الإنسان على أمر الله حفظ الله له صحَّته ، إذا أدَّى زكاة ماله حفظ الله له ماله ، فلا حريق ، ولا ضياع ، ولا مصادرات ، ولا مخالفات ، ولا استملاك ، والله ينجيه من كل ذلك .

فقد سمعت عن رجل والشيء بالشيء يُذكر . . له دكّان صغير في سوق شعبي وهو مستقيم طوال حياته ، لم يأكل مالاً حراماً إطلاقاً ، جاءه رجل وبتطفُّل وبأسلوب عدواني يريد شراء دكانه ، والرجل يرفض بيعها لأنَّها مورد رزقه . فقال له : أحببت هذا الدكان ويجب أن تبيعني إيَّاها . . فقد وقعت في قلبي ، وإلا أحسدك ، وما زال به

حتى باعه إيَّاها بسبعمئة ألف . وهي في سوق شعبي في طرف دمشق ، قبض الثمن منه ، وبعد عشرة أيام استُملك السوق ، فأعطوا المشتري الجديد سبعة آلاف ليرة تعويضاً!! .

فالمالك الأول كان صادقاً طوال حياته مع الناس ولم يكذب عليهم ، ولم يغشَّهم . . فكافأه الله سبحانه بأن حفظ له ماله ، سأجعل هذه الدكان تحلو بعين فلان . . فما زال به يلح إلى أن باعه إيَّاها بسبعمئة ألف ، ثم قبض الآخر تعويضاً لهذه الدكان سبعة آلاف ليرة!! .

فلذلك أركِّز على البركة . . فإذا أنت اتقيت الله عزَّ وجلَّ بارك الله لك بوقتك ، وبارك لك بصحَّتك ، وبارك لك بمالك ، وبارك لك بزوجتك .

فقد حضرت تعزية بوفاة امرأة ، وزوجها حيّ وعمره يقارب السبعين وزوجته المتوفاة في الستين ، فقد بكى بكاءً غير معقول على الإطلاق . . فهو في السبعين وزوجته المتوفاة في الستين . . فلما انتهى وقت التعزية وذهب المعزُّون جرى حديث بغية ردع الزوج عن البكاء الشديد ، وأن عليه أن يصبر ويحتسب . فقال : والله عِشتُ معها خمسةً وأربعين عاماً ما نِمت ليلةً واحدة وأنا غاضبٌ عليها .

فقد بارك الله له بزوجته . . وقد تجد شخصاً يقول لك : لم أرتح يوماً واحداً معها . . فلا توسط في الزواج لنا الصدر دون العالمين أو القبر! ، فالزوجة إما بلاء من الله وإما أنها هي الدنيا وزينتها كما في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة : ٢٠١] .

العلماء فسَّروا حسنة الدنيا بالزوجة الصالحة ، التي إن نظرت إليها سرَّتك ، وإن أمرتها أطاعتك ، وإن غِبت عنها حفظتك في مالك ونفسها . . وهي ستِّيرة ، وإذا خلا بها بذلت له ما أراد منها ، فبارك الله لك في مالك ، وبارك الله لك في وقتك ، وبارك الله لك في زوجتك ، وبارك الله لك في أولادك .

تجد ابناً باراً مع أبيه دائماً ، فوالله أرى هذه نعمة كبرى ، هو في خدمته ، وبأدب وتواضع هذا من فضل الله ، فأشعر أن هنالك أسراً ناعمة البال ، راغدة العيش ، ببر بعضهم بعضاً ، ففي حياتهم بركة .

فإذا استقام الإنسان على أمر الله ينال البركة من الله . . وإذا مُحقت البركة يصبح المال نقمة ، قد يُقتل من أجل ماله ، وقد تكون الزوجة شؤماً قد ينتحر من أجلها وبسببها ، وقد يكون الابن شؤماً ، كذلك . . وهكذا تقلب له الحياة ظهر المجن .

أحياناً يكون لك قريب تقول عنه لا دين له ، إنه لا يُصلِّي ومغموس في الملذَّات إلى قمَّة رأسه ، لكنه يحترمك كثيراً ، ويُكبر فيك إيمانك واستقامتك ولك مكانة عنده ، فيأتي المؤمن الجاهل أحياناً يسيء إلى هذا الإنسان غير الملتزم بدعوى أنَّه غير ملتزم ، فاستمع إلى هذه الآية قال تعالى :

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة : ٨] .

هو لا يعارضك ولا يحاربك ، ولا يطعن بك ، ولا يذُمُّك بل يقدِّر فيك استقامتك وإيمانك وصلاتك وهو مقصِّر وغارق في الشهوات ،

هذا الإنسان ينبغي أن يرى منك كلَّ استقامة وكلَّ بِر وكلَّ إقساط كما في الآية السابقة .

وهأنذا أؤكِّد أنَّ آلاف الحالات . . حالات التوبة أساسها عمل ذكي بسبب إحسان بادر به مؤمن ، قال الله عزَّ وجلَّ :

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الشورى : ٣٩ـ٤٠] .

يسألني أحياناً أحدهم : هل أستطيع أن أعطي صدقة لقريب لا دين له ؟ فأقول : إن غلب على ظنِّك أنَّ إعطاءه هذا المال يقرِّبه منك ومن الدين فافعل . . أما إذا كان هذا المال يزيده بعداً عنك وعن الدين فلا تفعل . . فالضابط المنظِّم لهذا العمل هو : ما إذا غلب على ظنِّك أنَّ إحسانك إليه يزيده قرباً من الله .

فدائماً وأبداً . . العدل العدل ، فقد قال رسول الله ﷺ :

« **اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ** » . [صحيح البخاري] .

الأبلغ من ذلك . . أنَّك إذا ظلمت مسلماً ، المسلم أبغضك أي أبغض ذاتك ، أما إذا ظلمت غير مسلم فإن المظلوم يبغض دينك ، ويقول : الإسلام ظلمني . . ينسى الإنسان ويتَّهم الدين كلَّه بالظلم لذلك يجب أن يشعر المؤمن الصادق دائماً : « **أنه على ثغرةٍ من ثُغر الإسلام ، فلا يؤتَيَنَّ من قبله** » .

الآية الرابعة في المقسط قال تعالى :

﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء : ٤٧] .

قال : أوفر الناس حظاً من هذا الاسم من ينتصف من نفسه ، فلو أخطأت وأنت القوي جداً مع إنسان ضعيف جداً وظلمته فقل له : أنا أخطأت معك وسامحني . فهذا أرقى ما يتصف به أحد بالعدل ، أن تنتصف من نفسك لمن هو أضعف منك ، أن تنتصف من نفسك وليس لنفسك ، أن تنتصر لمن هو أضعف منك .

أحياناً يكون الزوج في البيت هو كل شيء ، وعنده زوجة ضعيفة إذا أخطأ قال لها : أنا أخطأت وهذا خطئي . . فهذا أعلى درجات الإنصاف .

وقد يكون عندك صانع يعمل لديك في الدكان ، وهو شاب وإخراجه من المحل ممكن بكلمة واحدة : اذهب ولا تعد . . وأخطأت معه والصانع خاف منك ، فعليك أن تقول أنا أخطأت وهذا الخطأ خطئي . هذه أعلى درجة من أنواع الكمال والإنصاف . . ألم يرد في الأثر : « **تخلَّقوا بكمالات الله** » ، وأحد العلماء يقول : « **إنَّ أوفر الناس حظاً من هذا الاسم من ينتصف أولاً من نفسه** » .

فقد يكون الإنسان في موقع لا أحد يستطيع محاسبته ، فكماله أن ينتصف من نفسه ، وأن يعترف بخطئه .

سمعت عن طبيب في مصر ، وصف دواء لطفل صغير الجرعة منه تعطى لكبير ، وبحسب علمه لو تناول هذه الجرعة لمات الطفل من فوره ، فماذا يفعل ؟ لا يوجد عنده عنوانه وهو في مستوصف عام فاتصل بوسائل الإعلام ، وقال : أرجو أن تبلغوا المواطنين أن رجلاً وابنه دخلا إلى المستوصف الفلاني ، وقد أعطيتهما وصفة فليمتنعا عن أخذ الوصفة وإلا يموت الطفل ، فهو إذا سكت لا أحد يعلم وقد

يموت الطفل دون أن يكون مداناً ، لكنه أعلن على الملأ أمام خمسين مليون أنني أخطأت ، والشيء الذي لا يصدق أن الذي أخذ هذا الدواء وصله الخبر قبل أن يعطي لابنه الدواء ، فالذي حصل عكس ماتصور الطبيب ، فإنه اكتسب سمعة وشهرة تفوق حد الخيال .

أحد العلماء يقول : « **إن أوفر الناس حظاً من هذا الاسم من ينتصف أولاً من نفسه ثم ينتصف من غيره ، أولاً من نفسه ثم من غيره** » .

وقال بعض العارفين : « **متى أكثر العبد من ذكر اسم المقسط أشرق عليه نوره ، فسرى في جوارحه ، فعدل فيها** » .

يهودي دخل على سيدنا عمر يشكو سيدنا علياً ، فقال له : قم يا أبا الحسن فقف إلى جانب الرجل . . فأصبح علي خصماً في قاعة القضاء وهو من المقربين لعمر . . فوقف ، وتغيَّر لون سيدنا علي ، فلما حكم له وانصرف اليهودي قال له : أوجدت عليَّ يا أبا الحسن ؟ فقال : نعم . فقال له : لِمَ ؟ فقال : لأنك قلت لي يا أبا الحسن ولم تقل لي يا علي ، لقد ميَّزتني عليه . . . . . لِمَ لم تقل لي : قم يا علي فقف إلى جانب الرجل ، قلت لي : قم يا أبا الحسن ؟فقبل عمر رأس علي وقال : لا أبقاني الله بأرض ليس فيها أبو الحسن ، بهذا قامت السموات والأرض ، نعم قامت بالعدل .

أُعيد على مسامع القراء قصةً ذكرتها في أول البحث ليكون عوداً على بدء ، عندما أرسل سيدنا رسول الله إلى بني النضير عبد الله بن رواحة ليأخذ ما اتفقوا عليه من ثمارهم وزروعهم ، أرادوا أن يرشوه ليترفَّق بهم ، فعلم ذلك فقال : لقد جئتكم من عند أحبِّ الخلق إليّ ،

ولأنتم أبغض خلق الله إلي من عددكم من القردة والخنازير ، ومع ذلك لا يحملني حبي لمحمد عليه الصلاة والسلام ولا بغضي لكم إلا أن أعطيكم حقكم وأن آخذ حقي ، فقال اليهود : بهذا قامت السموات والأرض ، وبهذا غلبتمونا .

وأنت تقوم وتقوى بالعدل ، وتسقط بالظلم . . ألا ترون معي أنَّ العالم كله يَئنُّ من أن الظلام يكيلون بمكيالين ، ومن أنهم يقيسون بمقياسين ، يشددون التنكير على من يُتَّهم بقتل إنسان ولا يحاسبون من يُتَّهمون بقتل شعب ، ألا يشعر بالظلم كلُّ العالم اليوم ؟!

لذلك كما قال سيدنا رسول الله :

« **تُمْلأُ الأَرْضُ جَوْراً وَظُلْماً ، فَيَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ عِتْرَتِي يَمْلِكُ سَبْعاً أَوْ تِسْعاً فَيَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً** » [مسند الإمام أحمد] .

هذا الاسم من أخطر الأسماء في دنيا الناس . . بهذا قامت السموات والأرض ، لاتصلح سواء أكنت زوجاً ، أو تاجراً ، أو موظفاً إلا بالعدل ، والعدل أساس المُلك ، والعدل يزيدك قوةً ، والعدل أن تنتصف من نفسك قبل أن تنتصف من غيرك ، أن تقول أخطأت على الملأ فهذا الذي يرفعك عند الله عزَّ وجلَّ .

من أدعية هذا الاسم : إلهي أنت المقسط في الأحكام ، المتفضِّل بالإسلام ، عدلت في أقدارك الأزلية ، وتفضَّلت في حِكَمِك العلية .

* * *